# من وحي المؤتمر العالمي الأول للباحثين في القرءان الكريم

د. الطيب الوزاني ◆

نظم معهد البحوث والدراسات العلمية (مبدع)، ومعهد الدراسات المصطلحية بفاس وبتعاون مع الرابطة المحمدية للعلماء، والهيئة العالمية للإعجاز العلمي، وجامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس، المؤتمر العالمي الأول للباحثين القرآن الكريم وعلومه، في موضوع : «**جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم وعلومه**».

وعلى مدار ثلاثة أيام مباركات:(11-12-13 جمادى الأولى 1432هـ، الموافق 14-15-16 أبريل 2011م) التقى نخبة من العلماء والمفكرين والمهتمين من مختلف بلدان العالم من أجل تدارس جهود الأمة في خدمة كتاب الله تعالى وعلومه: **وصفا وتقويما واستشرافا**.

◆ أستاذ باحث بأكاديمية فاس. المملكة المغربية.

## إشكالات المؤتمر وقضاياه

انطلقت فكرة عقد المؤتمر من خلال تداول مجموعة من التساؤلات والإشكالات التي شغلت اهتمام الدارسين في حقل العلوم الإسلامية عامة وحقل الدراسات القرآنية خاصة، منها:

- هل يمكن اعتماد البحث العلمي في الدراسات القرآنية مدخلا لنهضة الأمة المسلمة؟ وكيف؟

- وهل يمكن لهذا البحث أن ينضج ويتسدد من غير محاولة حصر جهود الأمة على مدار خمسة عشر قرنا إحصاء ووصفا وتصنيفا وتقويما؟

- ثم ما هي أهم الجهود التي بذلتها الأمة في خدمة كتاب الله تعالى؟ وأين تتجلى هذه الجهود؟ وكيف يمكن أن يساعد الوقوف على هذه الجهود أفقيا وعموديا في تحديد مراحل التوسع والانتشار في خدمة القرآن الكريم، والتعرف على لحظات التوقف أو التراجع والانحسار؟ وما هي أسباب ذلك الانتشار وعوامل الانحباس والانحسار؟

- وما هي المجالات والميادين التي كثر فيها البحث، والمجالات التي قصر فيها جهد العلماء والباحثين؟ وما هي مواطن النقص التي تحتاج إلى مزيد بحث أو إلى الشروع في البحث فيها؟

- وكيف يمكن للمؤتمرات العلمية أن تمكن الباحثين من تشخيص الجهود وتقويمها؟ وكيف يمكن أن تساعد في ترشيد البحث العلمي في العلوم الشرعية عامة وفي القرآن الكريم وعلومه خاصة؟ وكيف يمكننا توجيهه نحو تفادي التكرار والاجترار والسعي نحو تطوير الاجتهاد العلمي، ومواصلة البناء على ما سبق بتقدير الصواب وتكميل النقص وتدارك الثغرات، وفتح آفاق جديدة بناء على احتياجات الأمة زمانا ومكانا؟؟؟

## أهداف المؤتمر ومحاوره:

### أ- أهداف المؤتمر:

يمكن تجسيد هذه الأهداف في التساؤل التالي؛ **ما الذي يروم المؤتمر تحقيقه من وراء البحث في موضوع «جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم»؟**

انطلاقا من التأطير العام السابق -لمسوغات عقد هذا المؤتمر وسياقه الإصلاحي- حُددت أهدافه العملية في ثلاثة مرامي كبرى هي:

1. تبيّن خلاصة جهود الأمة في مختلف ميادين خدمة القرآن الكريم وعلومه.
2. تأسيس أرضية للانطلاق إلى مختلف آفاق الخدمة في المستقبل.
3. إتاحة الفرصة للباحثين في المجال، كي يتعارفوا، ويتفاهموا، ويتكاملوا.

### ب- محاور المؤتمر وقضاياه الكبرى:

سعيا إلى معالجة هذه الإشكالات السابقة، وتحقيق أهداف المؤتمر، انتظمت أبحاثه في محاور خمسة:

1. جهود الأمة في حفظ القرآن الكريم. «رسما وتجويدا، وقراءات، وتحفيظا».
2. جهود الأمة في تيسير القرآن الكريم:«فهرسة، وطباعة، وتسجيلا، وترجمة ودراسة لمشروع عالمي لخدمة القرآن الكريم».
3. جهود الأمة في تفسير القرآن الكريم «غريبا ومعاني ومصطلحا وأصول تفسير، وبيانا لجهود علماء العربية والنحو».
4. جهود الأمة في استنباط الهدى من القرآن الكريم «سنن القرآن الكريم وقواعده ومقاصده».

5. جهود الأمة في بيان إعجاز القرآن الكريم البياني والتشريعي والعلمي «العلوم المادية والإنسانية».

وقد سارت أشغال جلسات المؤتمر على شكل عروض وتعقيبات ومناقشات، وفق منهج روعي فيه معالجة القضايا الكبرى للمؤتمر ومقاصده وغاياته، كما روعي فيه الجمع بين التشخيص الأفقي والعمودي، وبين التقويم واقتراح الحلول في شكل توصيات خرج بها المؤتمر في آخر جلساته.

## أولا: وصف جهود الأمة وتشخيصها

يمكن استجماع خلاصة أعمال الباحثين والمهتمين والمشاركين في تشخيصهم لجهود الأمة ووصفها في مستويين: أفقي يمثل مجالات هذه الجهود وعمودي يمثل مساراتها الزمانية.

### أ. المستوى الأفقي/ المجالي:

في هذا المستوى تم استعراض جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم بتتبعه أفقيا، وذلك من خلال ما أسسه علماء الأمة من علوم خادمة للقرآن الكريم، وفق المحاور الخمسة سالفة الذكر.

- في المحور الأول المتعلق بحفظ القرآن الكريم: تناولت البحوث جهود الأمة في حفظ كتاب الله رسما، وضبطا، وقراءات، وتجويدا، وتحفيظا.

في الجانب الذي عني برسم القرآن الكريم وضبطه تناول الباحثون تعريف هذين العلمين، موضحين الفروق بينهما ومبرزين مباحثهما، وعلاوة على ذلك وضحوا أهميتهما في حفظ القرآن الكريم وتوثيقه؛ صيانة له من التغيير والتبديل، وتيسيرا لقراءته وتداوله وفهمه، وتحقيقا لوعد الله سبحانه في قوله: ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ (الحجر:9).

كما بين الدكتور سالم الزهراني من جامعة أم القرى مكة المكرمة، في ورقة «ضبط القرآن الكريم: نشأته وتطوره وعناية العلماء به» بعض قضايا الضبط التي عني العلماء بها، ووجوهه بدءا من ضبط الكلمة إلى ضبط القراءات، والضبط القائم على إنشاء المطابع المتخصصة في طبع المصحف الشريف وتكوين لجان علمية متخصصة في الضبط والتصحيح، كما بين بعض الباحثين أصناف أخرى من الضبط والرسم وصورهما مثل علم الوقف والابتداء، وعلم العدد القرآني.

- وفي الشق المتعلق بالتجويد والترتيل والقراءات القرآنية: حاولت بحوث الدارسين تحديد تعريفات هذه العلوم وإبراز التداخلات والفروق فيما بينها وأهم المباحث التي تعنى بها هذه العلوم كل من جهة تخصصه، (ورقة «جهود الأمة في تجويد القرآن» الكريم للدكتور مولاي محمد الإدريسي الطاهري – جامعة أكادير، وورقة «جهود الأمة في قراءات القرآن الكريم» للدكتور أحمد خالد شكري من الأردن، وورقة «من جهود الأمة في خدمة القراءات القرآنية» للدكتور توفيق العبقري، جامعة القاضي عياض- مراكش- المغرب).

- ومن حيث حفظ القرآن الكريم وتحفيظه والتربية والدعوة إلى الله حاولت العروض المتعلقة بالجهود التي بُذلت في هذا المجال، التعريف بهذا الفن والشروط المطلوب توفرها في هذه العملية وفي مختلف مكوناتها، وبيان طرقه ومناهجه ومختلف الأساليب التي ابتكرتها العبقرية المسلمة في حفظ كتاب الله وتحفيظه، مع الوقوف عند أهم المراكز والمؤسسات والمدارس والدور والأسر التي كان لها دور بارز في الحفظ والتحفيظ، والتربية والدعوة، والموارد المالية اللازمة لذلك، ومصادرها من وقف وهبات وتبرعات.

- كما بينت مختلف البحوث الأهمية القصوى التي اكتستها هذه العملية في حفظ الوحي كما أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقله إلى الأجيال،

واستمراره في الأمة جيلا بعد جيل في ربوع الأمة مشرقا ومغربا، وقد شكل عمل الحفظ والتحفيظ؛ مشروع الأمة الذي شارك فيه الجميع وتنافس للقيام به والسهر عليه -أبناء الأمة- من حكام ومسؤولين ومحكومين، أفرادا ومؤسسات؛ أسرا في الحواضر والبوادي على حد سواء.

- وفي المحور الثاني المتعلق بمجال تيسير القرآن الكريم: تناولت البحوث جهود الأمة المبذولة في فهرسته، وتسجيله، وترجمته، ودراسة نماذج من مشاريع عالمية جامعة لخدمة القرآن الكريم.

- بالنسبة للفهرسة، تم التعريف بها وبقيمتها، ومصطلحاتها كـ«التصنيف، المعجمة، التكشيف»، والفروق الدلالية والوظيفية بينها، كما أبرزت أهم الجهود التي بذلت في تيسير القرآن الكريم سواء في صورة معاجم أم في صورة كشافات وفهارس للألفاظ والآيات والموضوعات، والوجوه والنظائر، والبرامج الإلكترونية في الفهرسة والتكشيف، كما تم تبيين اختلاف مناهج الفهرسة وطرائقها في الترتيب والعرض، (ورقة «جهود الأمة في فهرسة القرآن الكريم» للدكتور عبد الله محمد الجيوسي رحمة الله عليه، جامعة اليرموك- الأردن).

- في مجال تسجيل القرآن الكريم: بينت الدراسات جدة هذا العمل وارتباطه بتطور تقنية التسجيل في الفترة الحديثة والمعاصرة، وبواعثه وقيمته في حفظ القرآن الكريم وتيسير تداوله في الأمة وخلوده وتدوين القراءات بأصوات القراء المجيدين، حتى عد هذا العمل بمثابة التدوين الثاني للقرآن الكريم بعد تدوينه الأول في عهد الصحابة ومن بعدهم، وإلى جانب هذا تناولت الدراسات المتعلقة بهذا المجال، جهود كثير من البلدان المسلمة ومؤسساتها في تسجيل كتاب الله، على مستوى الأشرطة السمعية والبصرية، وعلى مستوى الإذاعات والقنوات التلفزية، والفضائيات والمواقع الالكترونية في الشبكة العنكبوتية، (ورقة الدكتور

مبارك بن محمد الأوخامي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف- المدينة المنورة بعنوان: «جهود الأمة في تسجيل القرآن»، وورقة الدكتور حمود بن جابر بن مبارك الحارثي، جامعة أم القرى- مكة المكرمة بعنوان: «جهود المملكة العربية السعودية في تسجيل القرآن الكريم ودوره في الدعوة إلى الله»).

- وفي مجال الترجمة: قدمت أربعة بحوث في هذا المؤتمر تناولت تجارب الأمة في تيسير القرآن الكريم وتقريب معانيه إلى الأمم غير الناطقة بالعربية: خاصة تجربة ترجمته إلى الألمانية، كما في الورقة المقدمة بعنوان: «ترجمة معاني القرآن الكريم في ألمانيا: الدوافع والأهداف» للدكتور محمود العلي حسينات، جامعة اليرموك – الأردن).

وإلى الإنجليزية متمثلة في (ورقة الدكتور عبد الله عبد الرحمن الخطيب، جامعة الشارقة- الإمارات بعنوان: «الجهود المبذولة في ترجمة معاني القرآن الكريم إلى الإنجليزية»، وإلى الماليزية متمثلة في (ورقة الدكتور مصطفى بن عبد الله، أكاديمية الدراسات الإسلامية جامعة ملايا- ماليزيا، بعنوان: «جهود ماليزيا في خدمة القرآن الكريم: الترجمة نموذجاً»).

وقد أجمعت هذه البحوث على بيان شروط الترجمة وضوابطها؛ واختلاف الأحكام الفقهية في ذلك بين القديم والحديث، وقيمة الترجمة الأمينة للمعاني في نشر الدين وتيسير سبل الدعوة إلى الله وتحقيق عالمية الإسلام، كما لم تغفل هذه البحوث مختلف الإشكالات التي تثيرها الترجمة عموما، وترجمة معاني كتاب الله خصوصا، خاصة الترجمات التي تولتها الكنيسة والمستشرقون، وإشكال اختلاف الترجمات إلى لغة واحدة بين المترجمين، مع المقارنة بين هذه الترجمات وتقويمها خاصة المقارنة بين الترجمات الغربية الاستشراقية والترجمات التي تولى أمرها المسلمون.

• وفي المحور الثالث المتعلق بمجال تفسير القرآن الكريم: ركزت البحوث على إبراز جهود الأمة في دراسة كل ما يساعد في حسن تفسير كتاب الله جل وعلا؛ فتناولت البحوث والمناقشات والتعقيبات الجهود المبذولة في الغريب، والمتشابه، وتأسيس علوم القرآن وأصول التفسير، وجهود علماء العربية في التفسير من نحويين وبلاغيين...

- في الشق المتعلق بجهود علماء اللغة العربية: تناول الدكتور سليمان بن إبراهيم العايد، جامعة أم القرى- مكة المكرمة ورقة بعنوان: «جهود علماء العربية في خدمة القرآن: ابن فارس في كتابه الصاحبي نموذجاً».

فاستعرض من خلال ورقته، جهود علماء اللغة العربية في خدمة القرآن الكريم، وقيمة اللغة العربية ودورها في حفظ لغة القرآن الكريم وبيان معانيه من زوايا متعددة صوتية وصرفية ودلالية وتركيبية وبلاغية.

وتوقف بعض الباحثين عند علاقة النحو بالقرآن تفسيرا وبيانا من خلال الورقة التي قدمت بعنوان «جهود النحويين في خدمة القرآن الكريم: ابن هشام في المغني نموذجاً» للدكتور عبد الله الدكير من المغرب.

كما توقف الدكتور سليمان العايد المشار إليه آنفا والدكتور عبد الرحمن الشهري، جامعة الملك سعود- السعودية، من خلال عرض:«جهود العلماء في غريب القرآن الكريم» عند دور العربية في الكشف عن الغريب وتحديد الدلالة وبيانها وتيسير فهم كتاب الله.

- وفي مجال التفسير والبيان: أبرزت البحوث المقدمة في هذا المجال مفهوم التفسير والبيان وحكمه، وأنواع التفسير بتقسيمها إلى جهات اعتبار متعددة، كما حاول بعض الباحثين تقريب المقصود من علوم القرآن وأصول التفسير ومناهجه

وعلم التفسير وما بينها من تداخل من جهة المصطلحات والمفاهيم والقضايا والمناهج، وما يلزم من طرائق وأدوات وآلات مخصوصة وشرائط وضوابط منصوصة عند العلماء.

وفي هذا السياق جاءت ورقة الدكتور مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، جامعة الملك سعود- الرياض بعنوان: «جهود الأمة في أصول تفسير القرآن الكريم» وورقة الدكتور حامد بن يعقوب الفريح، كلية التربية- جامعة الدمام بعنوان: «علم أصول تفسير القرآن الكريم: مباحثه وجهود العلماء في التأليف فيه».

- وفي مجال الدراسات المصطلحية أبرزت الدكتورة فريدة زمرد من دار الحديث الحسنية بالمغرب في ورقتها المعنونة بـ «جهود العلماء في خدمة المصطلح القرآني: المسار والمصير»، جهود الأمة في مجال المصطلحات القرآنية ودور علماء اللغة وعلماء أصول الفقه في ذلك ثم تطبيقات ذلك، كما تجلت في كتب الغريب ومعاجم الألفاظ القرآنية، وكتب الوجوه والنظائر وكتب التفسير، كما عرضت أيضا تجربة معهد الدراسات المصطلحية بفاس وجهوده في خدمة المصطلح القرآني تنظيرا وتطبيقا.

- وفي المحور الرابع المتعلق بجهود الأمة في بيان الإعجاز القرآني، انصرفت جهود الباحثين والعلماء إلى تحرير المراد من لفظ الإعجاز وحكمه وأنواعه: «اللغوي، التشريعي، العلمي، التاريخي، التربوي...» ومجالاته المعرفية التي برز فيها جهود العلماء، كما أثيرت مختلف الإشكالات والقضايا المتعلقة به، والفرق بين مفهوم التفسير العلمي والإعجاز العلمي، وبيان ضوابطه وشروط العمل به، (ورقة الدكتور عبد الله بن عبد العزيز المصلح، الأمين العام للهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسّنة بعنوان: «الإعجاز العلمي في القرآن والسّنة: تاريخه وضوابطه»).

كما بينت قيمته في خدمة القرآن الكريم تحققا وتخلقا وتبليغا ودعوة، وفي خدمة الإنسانية وإنقاذها من ضلالات العلمانية وأوهام الفكر الإلحادي، وخدمة العلوم الإنسانية والاجتماعية وتخليصها من مشكلات التحيز والذاتية وهيمنة التصور الغربي عليها، (ورقة الدكتور محمد بن موسى الشريف، من الهيئة العالمية للإعجاز في القرآن الكريم والسنة النبوية بعنوان: «جهود العلماء في بيان إعجاز القرآن»).

ورامت بعض العروض التأصيل والتأسيس للإعجاز العلمي في العلوم الاجتماعية، مع الحديث عن الإعجاز القرآني في تشريع الميراث وتوظيفه في مجالات العلوم الاجتماعية، (ورقة الدكتور رفعت سيد العوضي، كلية التجارة- جامعة الأزهر بعنوان: «إعجاز القرآن الكريم في مجالات العلوم الاجتماعية مع التطبيق على آيات تشريع الميراث»).

- أما في المحور الخامس المتعلق بالاستنباط من القرآن فقد هدفت بعض البحوث إلى استجلاء جهود الأمة من خلال أربعة مجالات:

ـ المجال الأول: مجال فقه استنباط الأحكام الفقهية حيث قدم الدكتور محمد جميل مبارك، كلية الشريعة- جامعة أكادير- المغرب ورقة بعنوان: «جهود الأمة في أحكام القرآن»، تحدث فيها عن دوافع التأليف في أحكام القرآن، وبيان مفهوم أحكام القرآن بين التوسيع والتضييق.

ـ المجال الثاني: مجال السنن الإلهية في الاجتماع البشري من حيث مفهومها وأنواعها وطرق الكشف عنها واستنباطِها، ومن حيث مجالاتها وآثار الاهتمام بها في استنباط قوانين العمران البشري وفق منهاج الله وهداياته، وقيمة ذلك في تصحيح تصور الإنسان لله والحياة والتاريخ والمصير، وتصحيح سلوكه وفعله، وأثر فقه السنن في تقويم مسيرة الأمة وتأهيلها لاستئناف دورها في

الشهود الحضاري، (ورقة د. الطيب الوزاني، أكاديمية فاس-المغرب التي جاءت بعنوان: «جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم من خلال مفهوم السُّنن الإلهية في التاريخ والاجتماع البشريين»).

- المجال الثالث: مجال استنباط قواعد القرآن الكريم، وهنا أبرزت الدراسة المقدَّمة مفهوم قواعد القرآن وشروط صياغتها وضوابطها، ومقدار الاتصال والانفصال بينها وبين مفهوم قواعد التفسير والأمثال القرآنية، وأنواعها وآثارها العلمية والعملية في تحسين الفهم لكتاب الله وإعادة ربط الأمة بدينها ورسالتها ربطا يحقق لها فقها عميقا بالدين والواقع واستشراف المستقبل على هدى وبصيرة، (ورقة الدكتور عمر بن عبد الله بن محمد المقبل، كلية الشريعة- جامعة القصيم- السعودية بعنوان: «القواعد القرآنية: قراءة في التاريخ والآثار»).

- أما المجال الرابع: فمجال استنباط مقاصد القرآن التي بذلت فيه جهود كثيرة ومتفاوتة كما وكيفا، لكنها تلتقي في تحرير المقصود من مقاصد القرآن الكريم والفرق بينها وبين مفهوم مقاصد الشريعة، ثم بيان أنواعها وطرق الكشف عنها، وكيفية الاستفادة منها في حياة الأمة، وقيمتها في تجديد التدين وإقامة العمران على ميزان القرآن، (جاءت ورقة الدكتور أحمد الريسوني، كلية الآداب- الرباط بعنوان: «جهود الأمة في خدمة القرآن الكريم»، وورقة الدكتور مسعود بودوخة، جامعة سطيف- الجزائر بعنوان: «جهود العلماء في استنباط مقاصد القرآن»، وورقة الدكتور محمد المنتار، رئيس مركز الدراسات القرآنية بالرابطة المحمدية للعلماء- المغرب بعنوان: «مقاصد القرآن: قراءة معرفية تقويمية»).

وهذه المجالات الأربعة «فقه الأحكام، وفقه سنن الله، وفقه قواعد القرآن، وفقه مقاصده» على اختلاف تسمياتها تشترك في الدعوة إلى التأسيس لعلم استنباط الهدى المنهاجي من القرآن الكريم، وفق قواعد وضوابط تحقق الفقه الرشيد

للأمة في الدين والواقع والتنزيل والدعوة، ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ (الإسراء:9) ﴿قل إن هدى الله هو الهدى وأمرنا لنسلم لرب العالمين﴾ (الأنعام:71).

وخلاصة النظرة الأفقية في هذا الجانب يمكن إجمالها في ما يلي:

1. بيان قيمة الجهود الكبرى التي بذلت أولا من أجل توثيق النص القرآني رسما وضبطا وحفظا، ثم ثانيا من أجل تسهيل تداوله ونشره عبر ما توفر للأمة من إمكانات عبر تاريخها: فهرسة وطباعة وتسجيلا وترجمة، وكذا تفسيره، وتأسيس العلوم الضابطة لذلك، فضلا عن الاجتهاد في استنباط هداياته في العمران والإعجاز.

2. بيان أن تفسير كتاب الله اقتضى استنفار كل العلماء والانفتاح على كل العلوم والتخصصات التي من شأنها الإفادة في التأسيس لعلوم التفسير من لغة ونحو وبيان، ومن أصول وفقه وقواعد، والاستفادة أيضا من العلوم المادية والطبيعية والإنسانية واستثمار نتائجها.

3. توظيف كل المناهج الصالحة في استثمار الدلالة وتوليد المعنى من اللفظ القرآني الذي تميز بخصوصيته المتفردة.

4. التأكيد على القيمة الكبرى لعلوم اللغة العربية في التفسير والبيان، والتأكيد على أهمية الوعي بعلاقتها الوطيدة -نشأة وتطورا وتفرعا- بالقرآن الكريم وعلومه حتى عدت علوم العربية واحدة من علوم القرآن الرئيسة وجزءا لا يتجزأ منها.

5. إبراز محورية القرآن الكريم في تفكير الأمة واهتماماتها التي جعلت من القرآن الكريم المركز، وسائر العلوم بمثابة الأفلاك السابحة حوله؛ ولم يولد علم ولا نضج إلا في إطار خدمته لكتاب الله تعالى.

**ب. المستوى العمودي:**

في هذا المستوى أُبرزت جهود الأمة في المجالات السابقة، لكن بالتتبع التاريخي لهذه الجهود والاهتمامات، من أجل التمكن من تشخيص مراحل التطور ومراحل التقصير، وعوامل ذلك للاستفادة منها في تحديد القضايا العالقة جزءا أو كلا، وترشيد البحث العلمي فيها: تقويما أو توجيها أو تكميلا أو استئنافا وإنشاء.

وقد لوحظ أن جل البحوث حاولت تتبع جهود الأمة زمنيا، من خلال تتبع جهود العلماء في المجال الذي عني به البحث:

- مرحلة النبوة والصحابة: تميزت ببذل الجهد في حفظ القرآن الكريم شفاهة، وتلقيه من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، كما تلقاه من عند جبريل عليه السلام، رسما وقراءة وتحفيظا وعملا به، فكان من أهم سمات هذا العهد الحفظ والتلقي من أجل العمل والتنفيد والتبليغ، والاهتمام بما ينطوي عليه عمل وتدعو الحاجة والضرورة إليه.

- مرحلة التدوين: تميزت ببروز بداية التوسع في خدمة القرآن الكريم من حيث الضبط، والعناية بالغريب، وظهور مشكلات التفسير والبيان، التي استدعت الاهتمام المبكر بعلوم اللغة والنحو هذا مع استمرار الحفاظ على المكتسبات السابقة.

- مرحلة التقعيد: جاءت نتيجة ضعف الملكة اللغوية والبعد عن زمن القرون الخيرة، وشيوع التقليد والتعصب المذهبي، كما جاءت نتيجة توفر البحوث والدراسات التي حاولت التقعيد لقواعد ضابطة للتفسير محصنة له من الانحراف، فظهرت الإرهاصات الأولى في أصول التفسير وعلوم القرآن،

ونمت البحوث في التفسير وفي علوم التيسير والحفظ، وغلب على جهود الأمة التفسير المذهبي.

- مرحلة الضعف: في هذه المرحلة تراجعت الأمة في قوة خدماتها للقرآن الكريم، وانحسرت عطاءاتها العلمية، غير أنه لم تخل هذه المرحلة من ظهور جهود جديدة، تمثلت في ظهور علم المقاصد، وتبلور مباحث علوم القرآن، وظهور التوظيف العملي للسنن القرآنية «مرحلة ابن خلدون».

- المرحلة الحديثة والمعاصرة: تميزت بخصائص وسمات جديدة، لعل أبرزها ظهور حركة الإصلاح وتوسع الوعي بضرورة العودة إلى الأصول وتجديد التدين انطلاقا منها، كما تميزت المرحلة المعاصرة بتطور العلوم المادية والإنسانية والتقنية فلوحظ:

1. ضعف الإبداع في مجالات انفرد بها السابقون، وتوقفت عندهم علوم رسم القرآن الكريم وضبطه، وعلم الإعجاز البلاغي وعلوم القرآن والتفسير.
2. إن تطور الوسائل والتقنيات ساعد في ظهور خدمات جديدة وبأشكال لم تكن متيسرة للقدماء خاصة مسألة حفظ القرآن الكريم وتيسيره عن طريق التسجيل بأنواعه؛ المسموع والمرئي؛ الإذاعي والتلفزي والإلكتروني؛ والفهرسة الإلكترونية.
3. ساعد تطور العصر في ظهور مؤسسات تعنى بالقرآن الكريم وعلومه: متمثلة في دور القرآن، والمدارس، والجامعات، ومعاهد البحث ومراكزه، والمؤتمرات والندوات، والبرامج الإعلامية...

4. ساعد تطور العلوم المادية والإنسانية في ظهور خدمات أخرى جديدة، تمثلت في توسع حركة الاهتمام بالإعجاز العلمي بمختلف أنواعه، ونمو البحث في علوم الإنسان والاجتماع والتاريخ.

5. توسع الاهتمام بخدمة القرآن الكريم من جهة استنباط هداياته، من خلال ظهور مباحث ودراسات في مقاصد القرآن وقواعده وسننه، وتوسع حركة التأليف في أصول التفسير وقواعده.

6. توسع الاهتمام بالمسألة المنهجية إما استنباطا وإما اجتهادا واستصلاحا «منهج الدراسة المصطلحية، ومنهج التفسير الموضوعي، ....».

7. انحسار بعض الظواهر والنواقص وتراجع الاهتمام به لارتباطها بظروفها التاريخية مثل: مسألة تأثير التوجيه المذهبي في الدراسات القرآنية.

وخلاصة النظر في المسار التاريخي لجهود الأمة في خدمة القرآن الكريم يمكن عرضها في نقطتين:

1. إن هذه الخدمة ابتدأت بعثتها العلمية والحضارية مع بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستمرت تترى في الأمة إلى يومنا هذا، ولم يخل عصر من تأسيس خدمة جديدة أو اكتشاف مجال جديد، للاستفادة من هذا الكتاب الكريم، أو تطوير لجهد من جهود السابقين، أو حفظ مكتسب حقق، ولهذا لم يخل جيل من حظه من هذه الخدمة بل لم يخل جيل من بروز إضافة نوعية في هذا المجال.

2. لم تنكمش خدمات الأمة للقرآن الكريم، إلا عندما كانت تجنح إلى الاكتفاء بالعناية بفروع المسائل بدل العناية بأصولها، أو عند الاقتصار على الاختصار، والتوقف عند حد التقليد والتكرار بدل الاجتهاد والإبداع والابتكار.

كما ارتبطت حركة العناية بالقرآن الكريم قوة وضعفا، بمدى الاتصال به أو الانفصال عنه، وبدرجة القرب منه أو البعد عنه، وبقدرة النهل من معينه مباشرة أو من خلال الوسائط البشرية والرؤى المذهبية، وبقوة حركة التربية والتعليم والدعوة أو ضعفها.

## ثانيا: تقويم هذه الجهود

إلى جانب الوصف والتشخيص الأفقي والعمودي، لم تخل كثير من الدراسات والعروض المقدمة من محاولة تقويم هذه الجهود التي بذلها علماء الأمة في مختلف المجالات( أفقيا)، وفي مختلف الحقب والأزمنة(عموديا)، ولعل أهم مظاهر هذا التقويم نوجزها في نوعين من التقويم:

### أ. التقويم التفصيلي

ـ في محور الحفظ: لوحظ ضعف في استثمار إمكانات العصر وإمكانات الأمة في حفظ القرآن الكريم، خاصة على مستوى تعليمه وتحفيظه وتعليم الناشئة على ضبطه رسما وضبطا وقراءات.

ـ في محور التيسير: لا تزال الحاجة قائمة إلى استثمار الجهود والطاقات، وحسن توظيف معدات العصر العلمية والتقنية لتيسير تداول القرآن الكريم ونشره، على أوسع نطاق تسجيلا وترجمة وفهرسة وتكشيفا.

- في مجال علاقة اللغة العربية وعلومها بالقرآن الكريم وعلومه تفسيرا وإعجازا لوحظ جملة أمور منها:

– إن قوة العناية بالقرآن الكريم، ارتبطت بقوة العناية باللغة العربية وعلومها، والعكس صحيح، إذ بقدر قوة التفقه في الآلة اللغوية، تدرك أسرار الكتاب ومقاصده، وتدرك مواطن إعجازه ووسائله، وبقدر التفريط في هذه الآلة

ينفرط عقد الدين، وتضعف حركة الاهتمام به والانتفاع من خيراته ورحماته، في تعمير الأرض على هدى الله.

- إن الاهتمام باللغة العربية وعلومها، عرف انكماشا وضعفا بسبب تهميشهما في التدريس والإعلام والتأليف والتداول الاجتماعي، في مقابل إيلاء اللغات الأجنبية والعاميات أهمية أكبر.

◆ في مجال البحث في علم التفسير وأصوله وقواعده لوحظ أنه وإن كان قديما، إلا أن ملاحظات الباحثين استقرت على أهمية استمرار حاجة البحث فيه لغايات ومقاصد يمكن إجمالها في:

- الوصول به إلى مرحلة الاكتمال والنضج العلمي الدقيق، وذلك بالاستقرار على اصطلاح خاص به (علوم التفسير/ علوم القرآن/ أصول التفسير/ قواعد التفسير..)، وبتدقيق جهازه المصطلحي والمفاهيمي وتحريره من الاضطراب والتداخل مع الجهاز المصطلحي والمفاهيمي لعلوم مجاورة خاصة علم أصول الفقه وعلوم القرآن وعلوم اللغة والبيان ...

- تحريره من التكرار وقلة التجديد فيه وغلبة القصد التعليمي في التأليف؛ إذ أغلب ما ألف فيه جاء بغرض التأليف الجامعي في المرحلة المعاصرة، ومن هنا كان واجبا الارتقاء به إلى مستوى التفعيل في الاجتهاد والاستنباط.

- تحرير المسألة المنهجية فيه تحريرا يخرج بها من الفوضى المنهجية، إلى الضبط والتحقيق والتدقيق، ومن التقليد والاجترار إلى الإبداع والاجتهاد، وذلك باستثمار جهود القدماء وتطويرها وفق ما استجد في البحث العلمي في هذا العلم أو في العلوم المجاورة والمتداخلة معه، مع تقويم المناهج الوافدة ونقد فوضى توظيفها في قراءة الخطاب القرآني.

- في مجال الإعجاز العلمي تبين أن البحوث في الإعجاز العلمي في المجال الكوني والتشريعي والتاريخي ما تزال في حاجة إلى توسيع ومواكبة لتطور العلم.

- وأن البحث العلمي في الإعجاز ينبغي أن ينطلق من عمل مؤسسي، ويكون تابعا لمؤسسات البحث العلمي في العلوم المادية والعلوم الإنسانية.

- نقص العنصر البشري في مجال البحث في الإعجاز كما وكيفيا، عدة وعددا.

- في مجال الإعجاز البلاغي والبياني لوحظ:

- تأثر البلاغة بالتوجيه المذهبي( علم الكلام)، وميل الباحثين فيها إلى تطبيق القواعد البلاغية على القرآن الكريم، بدل استخراج البلاغة منه.

- انتقال الأبحاث من الحديث عن الإعجاز البلاغي والبياني، إلى الحديث عن التفسير البياني.

- وجود الحاجة إلى تأسيسه على أصول وضوابط كلية على غرار أصول الفقه وأصول التفسير.

- حاجة البحث في الإعجاز إلى الجمع والفهرسة والتكشيف، وتجاوز سلبيات العمل الفردي إلى العمل المؤسسي.

- في مجال البحث في مقاصد القرآن اكتنفته مجموعة من الصعوبات، وأثيرت فيه بعض الملاحظات من قبيل:

- صعوبة التحديد الدقيق للمقصود بهذا العلم، ولموضوعه ومنهجه في استخراج مقاصد القرآن الكريم، ولاختلاف المصنفين فيه، في تحديد معايير التصنيف فيه.

- تداخل مباحث المقاصد القرآنية ومصطلحاتها، مع مباحث علم مقاصد الشريعة ومصطلحاته، وتأثير الثاني في الأول، وتأثر المصنفين في مقاصد القرآن بالتصنيف في المقاصد العامة للإسلام وللشريعة.

- ضعف استثمار مقاصد القرآن الكريم ونتائج البحث فيها؛ في تصحيح مسيرة الأمة وترشيد حركتها الفكرية والتربوية والدعوية، ومعالجة مشكلاتها الاجتماعية والاقتصادية الفردية والجماعية، ولوحظ أن غياب الفقه بالمقاصد الأساسية للقرآن الكريم أو ضعفه، هو مثار الفتن والمفاسد التي يشكو منها عقلاء هذا العصر. لأن من شأن التفقه في هذه المقاصد أن يحصن الأمة من كل الآفات والأخطار، لأن من شأن العناية بالتفقه في مقاصد القرآن وقواعده وسنن الله وتعليمهما أن يربى في الأمة علماء ربانيون يجمعون فقه الدين وفقه الواقع وفقه التنزيل.

**ب- التقويم الإجمالي**

يشمل عرض الثغرات الكبرى في جهود الأمة في خدمة كتاب الله جل وعلا ومنها:

- رغم انطلاق البحوث القرآنية المعاصرة من مبادئ حركة إحياء الأمة، وبعث وظيفتها القرآنية انطلاقا من العودة إلى الوحي باعتباره الأصل، ورغم استنادها إلى ضرورة إحياء منهج النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام في التعامل مع القرآن الكريم، في تلازم بين العلم والعمل والتبليغ، إلا أن كثيرا من جهود الأمة غلب عليها العمل الفكري والأكاديمي، بدل ربطه بغايته التربوية والتطبيقية، وإصلاح الفرد والمجتمع.

- غلبة العمل الفردي على العمل الجماعي، وضعف استثمار نتائج المؤتمرات واللقاءات العلمية، وضعف التنسيق بين مؤسسات البحث العلمي في مجال الدراسات القرآنية.
- نقص في الخبرات والكفاءات العلمية.
- نقص في وجود مشاريع كبرى تسهم فيها جميع كيانات الأمة لخدمة القرآن الكريم، وتكون مستوعبة لجميع القضايا أفقيا وعموديا، وتسير وفق نظام البحوث العلمية الرصينة والجادة.

وعموما يمكن القول بأن أهم قصور لاحظه الباحثون، تجلى في أن ضعف حركة البحث في القرآن الكريم راجع في كثير من جوانبه إلى ضعف حركة وعي الأمة بواجب الوقت في كل مجال، وضعف الوعي بالمسألة المنهجية، وضعف العمل وفق مؤسسات ومشاريع كبرى، إذ أغلب ما يوجد في الأمة من جهود هي جهود جزئية ومشتتة، ينقصها الرشد والاكتمال، وتفتقد إلى التخطيط والتكامل والتنسيق والتشاور العلمي، وتحتاج إلى تجنب هدر الطاقات والجهود في تكرار العمل أو البحث في ما ليس أولى.

## توصيات ومقترحات:

انتهت أشغال المؤتمر إلى إصدار بيان ختامي، تضمن مجموعة من التوصيات التي من شأن الأخذ بها دعم جهود الأمة في خدمة كتابها والارتقاء بها، في سبيل تحسينها وتطويرها أكثر فأكثر.

**ومن جملة هذه التوصيات:**

1. الحاجة إلى تجاوز العمل الفردي المنعزل والشروع في وضع بنيان العمل المؤسسي، وفق فرق بحث جماعي يجمعها عمل مؤسسي منظم، قائم على

تشخيص المنجز واستيعابه وتقويمه، وحسن توظيف واستثمار الصالح منه، وتحديد حاجات الأمة وواجبات الوقت، في خدمتها لكتابها ورسالتها في إطار من الرؤية الشمولية والاستراتيجية، والتشاور العلمي والتنسيق، وعمق الإشراف على الماضي والحاضر وحسن استشراف المستقبل.

2. الدعوة إلى إنشاء إذاعات وقنوات إعلامية خاصة بالقرآن الكريم وعلومه في كل بلد إسلامي، ودعم وتحسين الموجود منها والتكثير منها باللغة العربية وبلغات متعددة محلية ودولية.

3. الدعوة إلى إنشاء هيئة عالمية خاصة بالقرآن الكريم، تعنى بشؤون تيسيره وتفسيره، وتتكون من كبار العلماء من مختلف البلدان المسلمة.

4. الدعوة إلى إنشاء جامعات للقرآن الكريم، تتفرع إلى كليات ومعاهد متخصصة في علوم القرآن رسما وضبطا وقراءات، وتحفيظا وبيانا وأصولا واستنباطا.

5. أهمية توسيع الندوات العلمية والمؤتمرات المحلية والدولية في قضايا القرآن الكريم وعلومه، بناء على أسس تقوم على تشخيص المنجز وتقويمه، والتوجيه إلى العمل العلمي المطلوب.

6. توسيع دائرة الاهتمام بالقرآن الكريم لتشمل إضافة إلى المجالات العلمية، المجالات التربوية والدعوية، وتيسير تعلم القرآن الكريم وعلومه.

7. إنشاء بنك معلومات إلكتروني يتوفر على كل ما تم العثور عليه من مؤلفات في علوم القرآن، مبوبا ومفهرسا، وتعميم نشره على الباحثين والمواقع ومعاهد البحث، وتضمينه موسوعات ومعاجم تيسر البحث في هذه العلوم.

8. الدعوة إلى إعادة القرآن الكريم إلى موقع الصدارة، من حيث التأطير المفاهيمي والمصطلحي والمنهاجي في مختلف فروع العلم والمعرفة.

9. إسناد مهام خدمة القرآن الكريم لأهلها من العلماء، ولأهل الاختصاص من الباحثين والخبراء التقنيين الأقوياء الأمناء، واعتماد أسلوب المشورة العلمية بين العلماء والمتخصصين في حل المعضلات واقتراح الحلول ومتابعة التنفيذ.

10. ضرورة العناية البالغة والمستدامة باللغة العربية وعلومها، من حيث كونها وعاءا للقرآن الكريم وعلومه، ولارتباطها الوثيق بكتاب الله من حيث الفهم والاستنباط.

11. ضرورة الاستفادة من تقنيات العصر بمختلف أنواعها وتأهيل العنصر البشري فيها، وتدريب المتخصصين في الدراسات القرآنية على حسن توظيفها واستثمارها، والاستفادة منها بأكبر قدر ممكن.

12. ضرورة ربط الإعلام بخدمة القرآن الكريم، وهي قضية الأمة الجوهرية والمصيرية، وتخصيص حصص كافية لمادة القرآن الكريم وعلومه في الصحف والإذاعات والقنوات التلفزية الرسمية وغير الرسمية.

13. ضرورة طبع بحوث المؤتمر ووضعها بين يدي الباحثين في الجامعات ومراكز البحث المتخصصة، وبناء الأبحاث والدراسات عليها لسد الثغرات واستكمال جهود الأمة السابقة، وتأسيس المشاريع العلمية التي من شأنها أن تستجيب لحاجيات الأمة وتؤسس لنهضتها المنشودة.